إشراف /فاطمة رشاد

(يارب أعطنا كتابا لنقرأ) ديوان جديد للشاعر مهاب نصر

القاهرة/ متابعات:

صدر حديثاً عن دار العين للنشر في مصر ديوان (يارب أعطنا كتاباً لنقرأ)، للشاعر مهاب نصر، الديوان مكون من عشرين قصيدة، حيث يقدم نصر من خلال الديوان رؤية لوجوه من الحياة الحاضرة ومن الذاكرة، في كل حوار مباشر لا تفصح عنه الكلمات.

الديوان الذي كتبت معظم قصائده قبل ثورة يناير يلامس في بعض قصائده حالة الارتباك الجماعي، العمى الذي يشكل سجنا لإرادات متخبطة، يقول في قصيدته التي يحمل الديوان عنوانها: (ضائعون بأفكار على عجلات، ضائعون في البيت وفى الشوارع، غير مرئيين لك، ولا لأنفسنا، وحيدون أمام رؤسائنا، الوحيدون أيضا، وحيدون، مع صوت مزلاج بعيد، لمَ فتحته يا رب).

النبرة الساخرة تتخلل مفاصل القصائد، فقط لتنزع المبالغة عن المواقف الإنسانية وتضعها في مكانها الطبيعي المتواضع، تعترف بالممكن، بنقاط الضعف دون إدانة مباشرة.

يذكر أن هذا هو الديوان الثاني لمهاب نصر بعد فترة انقطاع طويلة، حيث أصدر في نهاية التسعينات ديوان (أن يسرق طائر عينيك) عن سلسلة كتابات جديدة التي كانت تصدرها الهيئة العامة للكتاب.

العتبات الشعرية .. المفهوم والتشكيل

تحقق العتبات الشعرية أفضلية في مكونات الفضاء النصي، ذلك لأن العتبة كينونة مصاحبة وشرطية لكينونة النص، فلا نص بدون عتبات ولا العكس، فالعتبات مكون جوهري في كينونة النص، وكينونته مستمدة منها أيضاً، حيث تتبلور طبيعة أي منهما وتتحدد ماهيته ومبادئه في ضوء علاقته الجدلية بالآخر، وفي ظل تداخله وتكامله معه.

من هنا تنبثق هذه الدراسة، وتنطلق أيضاً في بحثها وتنقيبها في عتبات النص الشعري، على اعتبار أن العتبة ليست مجرّد مدخل، أو مخرج، أو إشارة مرور، أو وسيلة مواصلات نصية، إنها كما توضح هذه الدراسة - فضلاً عن الأوصاف الإنشائية لتجلياتها الوظيفية - عنصر شرطي لبناء النص، وعنصرٌ ضروري لتلقيه، وكعتبة الدار لا يمكن تجاهلها، أو النفاذ من دونها، كما لا يمكن حذفها من مخططات البناء، وفصلها عن الخصائص البرجماتية والجمالية المعمارية، فهي جزء لا يتجزأ من النص، هذا الكائن المتخلق – بالضرورة - على أساس تكامل عضوي بين المتن والعتبات.

وبالرّغم مّن الاضطراب والتعدد الاصطلاحي والمفهومي لتحديد العتبة، تبعاً لكون العتباتية ظاهرة نصية وتناصية ترتبط بتحديد ماهية النص أولاً، فإن هذه الدراسة تضع رؤية مبدئية للعتبات باعتبارها ظاهرة تتحقق في أي (عنصر بصري أو صوتي أو ذهني أو سياقي، مصاحب للمكون اللّغوي للنص (المتن)، بشكل وظيفي، يؤثر فيّ تشكيل بنية النص، وفي عملية تلقّيه وتحليله وتأويله..)، وبشكل تمثيلي، فإن عنصراً ما، ربما كلمة، أو إشارة، أو رمزاً، أو أيقونة، أو لوناً، يمكن أن ينال استحقاقاً عتباتياً، إذا ما صاحب النص بشكل مخطط وهادف.

على أن البحث والتنقيب في العتبات هو تنقيبٌ يجري في صميم العملية النصية والشعرية نفسها، في الشكل والمضمون والقيمة والماهية والوظيفة والخصوصية، ومع ذلك فله غواياته المحرضة على الاشتغال عليه بحثاً عن إجاباتٍ، وربما عن مزيدٍ من الأسئلة التي تزجي الحراك النقدي، بما يثري أو يعمق الرؤية والممارسة النقدية والشعرية معاً.

لأجل ذلك عمدت الدراسة إلى الانفتاح على المناهج النقدية المختلفة، حداثية وما قبل وبعد حداثية، بالشكل الذي اقتضته طبيعة النص الشعري، في انفتاحه خارج بنيته على مختلف انساق الحياة والكتابة والفن، كما أملته طبيعة الخطاب العتباتي في محافله المؤسسة على تكامل الشاعر والشعر والمتلقي، والأنساق والمحافل المتكاملة والفاعلة بشكل جوهري في صناعة الشكل والبنية النصية والعتباتية للرسالة النصية والشعرية.

وبشكل خاص؛ تبنت هذه الدراسة المشروع النقدي للناقد الفرنسي جيرار جنيت الماثل في مؤلفاته (مدخل إلى النص الجامع) و(طروس) الأدب على الأدب، و(عتبات)، وهذا الأخير دراسة خاصة بالعتبات، قدم عبدالحق بلعابد قراءة شارحة تفصيلية ومختصرة عنه في كتاب "عتبات،جنيت، من النص إلى المناص).

كما أفادت الدراسة من نتاجات الحراك النقدي الذي أحدثه مشروع جنيت مؤخراً في الوسط النقدي العربي، حيث صدر عدد كبير من المقالات، وقليل من الكتب التي تعرضت له منهجياً وتطبيقياً.

وفي ضوء حقيقة أن الظواهر والأساليب والخصائص الفنية والإبداعية هي حصيلة مقارنة بين متغيرات الأعمال والتيارات والعصور والأجناس الفنية والإبداعية؛ اتكأت الدراسة، ومن زاويتها العتباتية، على مجالات وأدوات المقارنة، للبرهنة والاستدلال على خصائص الشعرية المعاصرة، كامتيازات فنية ونوعية وثقافية وعصرية وإنتاجية وتداولية، لا يمكن تحريها والتأكيد عليها دون أدوات المقارنة، التي اقتضت في سياقات المعالجات العتباتية الالتفات إلى الأبعاد التاريخية والأجناسية والثقافية للمفاهيم والظواهر الأدبية والعتباتية لرصد تناميها وتحدرها، ومن شأن كل ذلك مراكمة رصيد من المعطيات المهمة التي تمكّن من تأصيل وتفسير وتأويل وحل إشكالات، وقراءة ظواهر الشعرية المعاصرة وفق رؤية أعمق وأكثر اتساعاً.

في إطار ذلك كله فقد استطاعت الدراسة أن تتحول إلى مختبر نقدي لجملة من الفرضيات المتعلقة بموضوعها، وجوانبه التي تتسلسل حسب تسلسل مفردات عنوانها الذي يبدأ بسؤال العتبة، وينتهي في حيثيات المعاصرة.

وبشكل أعمق فقد اشتغلت الدراسة على معالجة واختبار منهجية الفرضية المركبة المتلخصة في أن: النص الشعري العربي المعاصر، ليس كذلك، إلا بفعل منظومة عتباتية متكاملة، لها عناصرها وعواملها ومعطياتها التي تبئر لخصائصه وخصوصياته النصية والجنسية والنوعية والوظيفية والتداولية، وتدفع المتلقّي إلى النظر إليه والتعاطي معه كنص شعري عربي معاصر.

تبعاً لذلك اعتدت الدراسة اختبار عينة تطبيقية، تعبر في جانبيها الكميّ والكيفي عن الشعرية العربية المعاصرة، في بعض من أهم رموزها ونماذجها، وأكثرها تمثيلاً لخصائص المعاصرة الشعرية العربية، في ممارسة الجنس الشعري والأنواع الشعرية، العمودي، والتفعيلة، والنثري، التي تتكامل وتتفارق في تخليق المشهد الشعري العربي المعاصر، والذي لا يمكن مقاربته بدرجة مقبولة من التمثيل في عينات محدودة فليست الشعرية المعاصرة بنية نمطية أحادية، أو ظاهرة سكونية معزولة، كما يمكن أن يصورها الانحصار في حدود عينة شعرية ضيقة، أو تيار شعري محدد، أو الاقتصار على النظر إليها من الداخل! إنها بابل من الأشكال والإشكالات والتجاوزات والاختراقات، وفوضىً خلاقة ملبدة بأهوال إشكالاتها النظرية التي لا يمكن تبديدها، لتوصيف هذه الشعرية، دون النظر إليها من الخارج أيضاً، ودون البحث عن المنابع والمؤثرات والعوامل التي خلقت هذا الثراء والتنوع على صعيد الشعر والشاعر والفضاء التداولي.

إذ حددت الدراسة مجالها التطبيقي المختار في أشعار لكل من: أدونيس، وأمل دنقل، وأنسي الحاج، والبردوني، وخليل حاوي، والسياب، ومحمود درويش، ومحمد القيسي، والمقالح، ونزار قباني. كما قفزت الدراسة في أحايين إلى الاستشهاد في تفاصيل محدودة من خارج العينة التطبيقية، بما يخدم السياق النقدي ويعزز الرؤية العامة كما ترى.

وقد عُنيت الدراسة في الأفق العتباتي لعينتها التطبيقية هذه؛ بتقصّي أكبر عدد ممكن من أهم وأبرز الظواهر والمظاهر العتباتية، في فضاءات العمل الشعري والقصيدة، وصولاً إلى عتبات الكيان النصي، بما يجيب عن التساؤلات، ويختبر الفرضيات المتعلقة بالشعرية العربية المعاصرة، في عمومياتها الجنسية، وتدافعاتها النوعية، وخصوصياتها التأليفية.

قبل ذلك؛ وعلى نحو من التمهيد المتسع والتأصيل النظري؛ عمدت الدراسة إلى بناء وتأثيث مداخل نظرية، عبر محاور عدة، ممهدة لقضيتها العتباتية بتوفير الأرضية النظرية للعتبات، كماهية ومفهوم، ومنهج نقدي، وظاهرة نصية، لها أبعادها التاريخية، بدءاً بعرض العتبات المصطلحات والمفاهيم والمبادئ، كظاهرة ومنهجية نقدية تم التعامل مع محددات "جنيت" لها بإيجابية تضمنت المراجعة والتعديل والتوسيع، بما يعبر عن رؤية الباحث، وقراءته لواقع الشعرية العربية المعاصرة، وتاريخها الثقافي.

كما تناولت الدراسة محاور أخرى كالبعد التاريخي للممارسة والوعي العتباتي، في التراث العربي خلال الثقافتين الشفاهية ثم الكتابية، وفي مجالات الشعر والنثر والنقد، الأمر الذي بجانب كشفه عن ثراء أشكال الممارسة العتباتية، وعراقة الفقه العتباتي في هذا التراث، مثل دعوة لاستقراءات أشمل لأشكال الممارسة والوعي العتباتي في التراث العربي، لبلورة رؤية متكاملة عن ذلك، وتوفير مادة مقارنة هامة لمعالجة الظواهر الشعرية والعتباتية المعاصرة، واستقراء ملامح الجدة والأصالة فيها.

فارس البيل

وعنيت الدراسة في بابها الأول بالاستدلال والبرهنة على فرضية أن العمل (الكتاب) الشعري المعاصر، ظاهرة كتابية قرائية، تتأسس على الإنتاج الكتابي، والتداول الطباعي، وتتذرع إلى التلقي بمنظومة مركبة من العتبات البصرية التي تعمل على استقطابه، كما تعمل على إبراز خصائص العمل الجنسية والنوعية والشكلية والمضمونية والتأليفية والثقافية، بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد.

تضم هذه المنظومة عتبات لغوية ومادية وأيقونية، تتمركز على جوانب الغلاف الشعري، والصفحات الأولى من العمل، بأبعادها المتصلة بواقع الشعر المعاصر وظواهره وقضاياه، مما تشتمل عليه بيانات النشر، والعنوان واسم الشاعر والإشارة التجنيسية، ثم المقدمة.

إن تفكيك البداهة الخادعة لأيّ من هذه العتبات المهمشة تقليدياً، يفتح الدرس النقدي على كم كبير من الأسئلة والإجابات والإشكالات المحورية في تحولات وقضايا الحداثة والمعاصرة الثقافية والإبداعية، ويبلور أو يعيد بلورة رؤى ومفاهيم جديدة لظواهرها، من واقع السياقات والأطر الجديدة للممارسة والتلقي الإبداعي، وقضاياها وأبعادها النقدية والثقافية، فالإشارة التجنيسية على سبيل المثال، لم تعد إشارة بديهية إلى مسلمة ثابتة، لم يعد للجنس الأدبي ماهية واضحة محددة بحسم، ليشكل حضور أو غياب الإشارة التجنيسية على الغلاف الشعري المعاصر، نافذة عتباتية على قضية جدلية نسبية، في ظل ظاهرة التداخل الأجناسي وإبدالات الحداثة الشعرية، وإشكالات الجنس الأدبي.

وكذلك اسم المؤلف، كقيمة وأهمية نسبية متراوحة بتراوح مناهج النقد الأدبي، في ارتكازها على أحد أركان ثلاثية المؤلف، النص، المتلقي. وكذلك الشأن في بقية عتبات هذا الباب الذي اهتم في كل عتبة بمعالجة أبعادها المختلفة، بقدر تركيزه على خصائص تجلياتها الحديثة، والبرهنة من خلالها على حداثة رافدة وحاضنة.

في الباب الثاني عنيت الدراسة باستقراء واستنطاق وتحليل العتبات الأكثر قرباً ومحايثة وتداخلاً بالنص الشعري المفرد (القصيدة)، على أكثر من مستوى، ففي الفصل الأول (عتبات الفضاء النصي) تحركت الدراسة على تخوم هذا النص (القصيدة)، والنصوص العتباتية المحايثة للمتن، والتي تتمركز على حوافه، وتدور حول فلكه، كما قد يتجلى بعضها على مستوى العمل، كالإهداء والتصدير والاقتباس والهامش، كظواهر عتباتية كتابية لبعضها تاريخها الثقافي، لكن مبادئها الشكلية والمضمونية والتواصلية والمرجعية في الشعر المعاصر، تؤكد على حداثة شعرية، تحققت في بنية النص الشعري، وطبيعة محافله التداولية، تأسيساً لعلائق تفاعلية جديدة بين الشعر والشاعر، ومحيطه الاجتماعي والفكري، وبين الشعر وفصائل التأليف الأخرى، في التراث العربي والإنساني، وبين الشاعر والمتلقي المعاصر.

تثبت هذه العتبات أكثر من غيرها مدى إيجابية وتجاوب الشعر والشاعر المعاصر مع الحياة المعاصرة، ومدى اتكاء القصيدة المعاصرة، كظاهرة بصرية كتابية، على عتبات بصرية كتابية ملائمة للأرضية المعرفية والتقنية للعصر، من أجل تلق قرائي أكثر استبصاراً وجودة، وربما توافقاً مع رؤية الشاعر.

على أن الدراسة توغلت في فصلها الثاني (عتبات الكيان الشعري) في المساحة الأكثر داخلية وتداخلاً بالبنية النصية والعتباتية للنص الشعري المعاصر، وعلى أكثر من جانب ومستوى، حيث السواد والبياض يتكاملان في ترسيم خصائص جغرافية الكيان الشعري، وتضاريسه الكيفية والكمية، رأسياً وأفقياً، بما يعكس مستجدات الرؤية والممارسة الشعرية المعاصرة، في ثراء الممارسة بالأشكال البنائية والنوعية والتداخلات الأجناسية، وثراء النظرية بالقضايا والإشكالات المرحلية والفنية والثقافية، خلال ذلك تتأكد وبدرجات متفاوتة بصرية القصيدة المعاصرة، حتى في الشكل العمودي النمطي، كما يتأكد كون الشكل البصري للقصيدة المعاصرة، في معظم تجلياته، ليس معطىً قبلياً جاهزاً لكتابة الجنس أو النوع، وتمثيل قيمه الصوتية الإنشادية، كما في القصيدة العمودية التقليدية وبعض الشعر الحر، بل قيمة بنائية تتخلق مع التجربة الشعرية، وتمثل وتتمثل خصائصها الأسلوبية في الانبناء والتلقي.

على محور آخر تم استقراء الشكل الكتابي الطباعي للقصيدة المعاصرة للتدليل على حداثة شعرية عربية، تتجاوز مجرد اعتمادها الشكل البصري الخطي لتداوليتها، إلى استثمار مقدّرات الخط العربي، والمناورة بمتغيرات الكم والكيف واللون والنوع الخطي في بناء شعرية القصيدة وأسلوبيتها في تشكلها ومعناها.

تتعزز هذه الحداثة البصرية من خلال استئناس الشعر المعاصر لمنظومة كبيرة من العتبات العلاماتية البصرية، كعلامات الترقيم والرموز والأرقام الرياضية، والأشكال، وتطعيم القصيدة بها، والاعتماد عليها بجانب اللغة في بناء القصيدة وشعريتها، وتحديد وتوجيه البني الدلالية على مختلف المستويات.

تخلص هذه الدراسة الماتعة والمعمقة إلى نتائج عامة تتصل بقضايا النص والعمل والمعاصرة الشعرية في الثقافة العربية على الأقل مما عالجته الدراسة بشكل عام واجتهدت في محاولة الإجابة عن أسئلته التي تبحث عن ماهية النص والعمل والشعر والمعاصرة من زاوية العتبات.

فكون النص نتاجاً لالتقاء استراتيجي بين المتن والعتبات، يسهم في الإجابة عن سؤال النصية، وهو ما الذي يجعل من خطاب ما نصاً؟ من هنا يمكن افتراض أن أي خطاب لغوي دال يمكن أن يعد نصاً ولو في الحد الأدنى من تحديد بنيته، أي أنه لا بد لأي خطاب أن يتسور ولو بالحد الأدنى من العتبات ليكون نصاً!

وهو ما يعني أن العتبات بتداخلها واندغامها مع المتن هي التي تجعل من الخطاب نصاً، كما أنها - أي العتبات - على مستوىً آخر هي التي تجعل من النص عملاً قابلاً للانخراط في الوسط التداولي تبعاً لتقنياته الكتابية.

سطور

الازدواجية

أيمن شوقي

(مستوحى من برنامج المواهب البريطانية)

اليوم أعلن يأسي واخلع خوذتي
رابطا قطعة من القماش البيضاء على رمحي لأغرسها
في رفق على قبر مرمري ، ليس بقبري
ليس إعلانا ليأس أو خمول مني قط
ولا مدعاة للحرية والحرب على الفلول
بل هو استسلام عن تلك الازدواجية
فلا يمكن لشخص أن يتذوق ويأكل المالح والحالي
طول عمره في نفس الوقت
فأما أن يفقد طعم الحياة ... أو يتوقف عند الوقت
المناسب
فقد وصلت المخططات منذ زمن بعيد إلى ما تصبو
إليه بفضلنا نحن
وتمزق العرب على مختلف الأصعدة ... فقط في 3
سنوات
بفضلنا نحن ... فقد صنعنا الفراعنة في جيل كامل
... ونحن من أنجحنا كل ما يصبو إليه أي شخص في
الغرب أوفي الشرق
ولكني هنا توقفت بعد ملل ورفض للواقع منذ أعوام
وفوجئت بحضارات قد اندثرت منذ أجيال ، ولكن مازال
شعبها يتمتع بالحياة والثقافة ... والجنون
فوجئت ببلاد كانت لا تغيب عنها الشمس ماتزال
تعيش في رغد عيش لا نقدر عليه
بعد تقلص دولتهم من دولة لا تغيب عنها الشمس
إلى دولة تقع في جزيرة بعيدة تعم بالضباب
ومع ذلك ... فان الحضارة لا تفارقهم واحترامهم
للقوانين ولبعضهم ورغبتهم في الأمن لا تبتعد عنهم
بل أن الهاربين على القوانين واللصوص يركضون
إليها ليحموا أنفسهم
وجدت لديهم العديد والعديد
أراقبهم منذ شهرين
حتى جاء اليوم لاتوقف عن كل هذا الزحام والازدواجية،
وابتعد بروحي عن البكاء
لأضحك من قلبي ضحكات فارقتها من زمن
والسبب مزودج هذا المرة لما يحمله من البساطة
والحب والتشبث بالحياة
فوجئت بفريق من كبار السن تتراوح أعمارهم بين
السبعين والثمانين يدخلون إلى مسابقة المواهب
الشهيرة
ويؤدون استعراض وغناء مدهش
ويرغبون في الفوز
وبشدة ...
ليكسبوا المليون جنيه وينفقوها في السياحة حول
العالم ...
وفي هذه السن
ولهذا السبب
فقد قررت أن أكون أفضل منهم جميعا
واحتفظ بما تبقى لي من العمر دون مزيد من الحروب
والجراح التي لا تلتئم
ولن اهتم بمعركة فاشلة
بل ولن اكترث من يستولى على العرش ومن يموت
ومن يهدد ومن يندد
اكتفيت تماما ... لأضع حربتي ودرعي
مبتسما هذه المرة ...
وليتبعني من يريد
فان هذه الحياة لن تتكرر ... ولن تخدعني مجددا

قصة قصيرة

خفايا وأحلام

روضة الفارسي

بجهد كبير أفتح أجفاني المثقلة متحسسة ثوبي المبلل بالعرق و حين أرفع عيني أرى أطفالي وزوجي محيطين بالسرير محدّقين بي... يقترب مني زوجي ويقول:

- الحمد لله على سلامتك عزيزتي ...الطبيب غادر الآن، وأوصاك بتناول الدواء بانتظام. يصمت قليلا ثم يضيف: ممنوع مشاهدة الأخبار منعا باتا وبإمكانك التنزه ابتداء من هذا المساء... لقد أصبت بانهيار عصبي وأنت بحاجة أكيدة إلى الخروج.

أبذل جهدا كي أبتسم ثم أقول بصوت خافت:

- لا تقلق سأحاول ...

عندما يقفل الباب وراءه يلتصق أطفالي بي، ويسألونني بكل اهتمام عن حالي وعن إمكانية مساعدتهم لي... أحتضنهم بحنان مجتهدة لرسم ابتسامة على شفتي ثم أقول:

- لا تنزعجوا فقد شفيت والحمد لله...

يوشوش كبيرهم :

- لنترك ماما بمفردها فهي تحتاج الهدوء والسكينة...

ينظرون إلي مبتسمين ثم يخرجون ... أدير عيني في أرجاء الغرفة، على النافذة المقابلة للسرير ستائر سماوية و على اليمين إطار آية الكرسي وتقابلها لوحة للغروب في الريف الصيني يغلب عليها الأحمر القاني، فوق السرير تماما خريطة فلسطين في إطار مذهب هدية من أبي عند ولادة ابني البكر كتب عليها بحروف لامعة (عائدون)، وعلى الكومودينو توجد صورة الزفاف الكبيرة بجانبها (كتاب الأسرار) للكاتب أنور الخيام.

يتملكني حنين للمس الكتاب و شوق لحياة حقيقية غير هذه الحياة وأحس ألما ممزوجا بلمسات ريشة ناعمة بين أضلع القلب... أراقب رقصات صدري و نغمات أنفاسي التي تصدر حفيفا عذبا يلطف أركان قلبي الملتهبة...

أمد يدي بحنان وأفتح الكتاب و أهمس: (إن الحماقة هي الترداد، ترداد ما يقوله الآخرون... لماذا نتشبث بالأواني و نكرر كالببغاء تفاسير لِمَعَانٍ قيلت منذ زمن بعيد ونبرمج أنفسنا على أنها الحقيقة المطلقة)...

تدق نبراس الباب وتدخل حاملة باقة ورد قطفتها من حديقتنا تقدمها لي مبتسمة، أشكرها باسمة، ثم تخرج موصدة الباب وراءها. أعود لكتاب أنور الخيام.

اقرأ أيها العربي لتعرف نفسك وتقرأ عدوك الذي اطمأنّ لغفلتك، اقرأ الكتب التي توصلك إلى المعاني التي بقلبك.

ألمس بنعومة الورود الندية التي تعطر كامل الغرفة فأحس رغبة جامحة للخروج.

على عزف ناي (لويز فريليو) القريب جدا إلى قلبي أشرع في تغيير ثيابي... أخبر بدوري الصغيرة أني خارجة للنزهة وأن غيابي لن يطول... تتحرك خطاي وأصداء الموسيقى ما زالت تتردد بذهني وتنعش روحي ممزوجة بحروف الخيام، ذلك الكاتب الحكيم الذي لم نقدر علمه قط.

أسير طويلا، لكني أحس قطرات المطر تلمسني أقف تحت شجرة ، طائر يحط على غصن وينشد بلغة لا يفهمها إلا من كان أخا لكل الكائنات:

- أرقصي يا مطر... بللي وجه الأرض... افتحي القلوب الصماء... أيتها المياه المقدسة اسألي العرب لم أقيم للغش نصب ومعالم؟؟ و كيف حجبت الحقيقة وانزوت في خبايا الظلمات؟؟.

أحاول أن أنادي الطائر لكنه يطير بعيداً... يتوقف المطر عن النزول أواصل السير، بقايا آلام في رأسي ووجع في زندي من تأثير الحقن... أحاول أن أعيش اللحظة و لا أتذكر ولكن الصور البشعة تعود بإصرار وبأكثر بشاعة. دمر العدو جزيرة العزة. أحرق بوحشية أطفالنا و أشجارنا وديارنا أمام صمت كل العالم...

تعاودني حالة الإغماء فأخاف أن أقع مغشيا علي ولكن هذه المرة لن يسعفني أحد لخلاء الطريق. أحاول أن أتماسك، أدعو الله ليجعل لي مخرجا... يا رب اشفني، وفرّج كرب جزيرتنا... أتنفس بعمق وهدوء إلى أن أحس حالي قد تحسن، فأمضي مرددة بصوت خافت مقولة شاعر الحياة أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.

أمر أمام المقهى الذي يداوم عليه زوجي فأرقب جموع الرجال وسط غيوم كثيفة من دخان الشيشة والسجائر بعضهم يلعب الورق والبعض الآخر يشاهد مقابلة كرة القدم. يحدقون بانتباه شديد وحماس كبير... سيزايدون بين الشوطين في عدد ضحايا الفسفور الأبيض الذي يحرق بلا رحمة جزيرتنا الأبية، وكل منهم سيستند إلى قناة تلفزية ويؤكد صحّة أرقامها، ثم سيواصلون الشوط الثاني من مقابلة كرة القدم بنفس الحماس الذي كانوا يناقشون به أرقام شهدائنا... وأكثر.

ها أنا أبلغ الشاطئ. نغمات البحر تبعث السكينة بروحي الظمأى للحب والأمل... بعض الغيوم بدأت تحجب الشمس من جديد. يا رب أناجيك بقلب يملؤه الشجن بحق حبات الرمل والفجر والنجم و قطرات المطر أنقذ جزيرتنا و أنقذني من هذا العذاب.

أجلس على صخرة أتحسسها هامسة (ترى كم مضى من زمن وأنت تعيشين هنا تحت حرارة الشمس ولفح الريح وقطرات المطر؟ أيتها الحبيبة، ترى ما حال الشجر والحجر هناك في بلد يدمر؟ أنادي:

أنور لم تركتني وحيدة... تعال.

أضع رأسي بين كتفي في حين تسيل الدموع الحارقة على وجهي. فجأة أحس يدا تلامس شعري بحنان لم أعهده.

- ما بك حبيبتي ...ما بال هذين العينين الجميلتين محمرتين؟

- أنت... أنور الخيام... ماذا تفعل هنا.

بصوت دافئ مرتعش يهمس:

- ها أنا ذا حبيبتي قد سمعت نداءك...

- هل سمعت ندائي رغم أن زمني غير زمانك وأرضي بعيدة جدا عن أرضك؟

- نعم لقد سافرت في الأزمنة وركبت ظهور الأمكنة كي أكون برفقتك ... أنا متألم جدا لألمك... حاولي أن تقتلعي الفرحة من الحياة كوني فرحة متناغمة كزهرة ترقص مع النسيم.

أبتسم بسخرية.

- ما أسهل هذا الكلام وما أقسى فجائع وخيبات الحياة... قلتَ ذات مرة أن الدنيا حنفية تحوي السم والحلاوة أي والله أيها العزيز هي كذلك بل أن سمها أكثر من حلاوتها بكثير.

تتسارع دقات قلبي. وترتبك شفاهي العطشى وهي تقول: أحتاج الحب... أحتاجك... و لديّ هموم كثيرة... لقد دمروا جزيرة العزة.... كم حلمت أن أراها. أضع رأسي فوق كتفه. يضمني بقوة فأودّ لو يتوقف الزمن هنا والآن.

يمسح دموعي و يداعب شعري بمنتهى الهدوء والحنان... ثم ندخل الماء فتلمسنا الأمواج... وتجتمع الغيوم وتبدأ برش قطرات مائها على البحر والصخر وفوق نيران قلبينا فجأة تأتي موجة كبيرة تفرق بيننا فما يعود أحدنا يبصر الآخر ... أسمع صوتا يقول:

- جميلتي... لتحرسك عيون السماء.

يبتعد الصوت تدريجيا إلى أن يختفي تماما..

أودّع الصخرة و مياه البحر. وعلى نغمات أمواجه أسير عائدة للمنزل تعاودني حالة حمى والإحساس بالغثيان وأحس بحالة فقدٍ تمزقني... يعترضني طفل ويسألني:

- ما بك سيدتي هل تبحثين عن شيء؟

- لا... لقد أضعت... الرجل... الحقيقي.

ينظر لي باستغراب ثم يمضي.

أمتطي سيارة أجرة فلم تعد لدي قدرة على الرجوع سيرا كما جئت. أدخل البيت يعترضني أبنائي فرحين...

- سامحوني أحبائي لأني تركتكم وحيدين.

يقول باسل بصوت يمتزج فيه الحب والذكاء:

- لا عليك ماما... نحن نراجع دروسنا... المهم أن تكوني بخير. هل استمتعت بالنزهة؟

- تضيف فدوى:

ماما، أكنت تبكين؟

- لا أبدا... إنها حبات رمل البحر دخلت عيني.

يعود أطفالي إلى غرفتهم ... فدوى تراجع الحساب... باسل يقرأ كتاب (عائد إلى حيفا) نبراس ترسم وتسأل أخاها من حين لآخر أن يشرح لها ما قرأه فيجيبها باسل بهدوء وصبر.

بعد برهة تنادينا نبراس لترينا ما رسمت:

تقول بصوتها الملائكي... لقد رسمت فلسطين، أشكرها مبتسمة متوجعة...

يعود أبو أطفالي فنجتمع قليلا يحسب من يرانا أننا عائلة سعيدة... ينام الصغار وأتمدد حذو زوجي النائم شاخصة ببصري للفانوس الأزرق ... صوت المطر يعود من جديد، أسترجع هطول المطر هذا النهار، وأراني تحت الشجرة فأسمع صوت ذلك الطائر من جديد:

- أرقصي يا مطر... بللي وجه الأرض... افتحي القلوب الصماء... أيتها المياه المقدسة اسألي العرب : لمَ أقيمت للغش نصب ومعالم؟؟ وكيف حُجبت الحقيقة وانزوت في خبايا الظلمات؟.

همس حائر

فاطمة رشاد

في كل مرة يقتلك شكك القاتل بان النساء اللواتي تصادفهن في الحياة غير اللاتي تتخيلهن دوماً فكل النساء لهن طريقة في خذلان الرجل والغدر به وانتهاك فرحه والعبث به

ولكن!

في نهاية المطاف ستجد امرأة تحتوي شكك الدائم بهن بأنها أعظم امرأة في الوجود.